الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

سلسلة تمكين الرّمضانيّة (2-4)

عبق التّربية الإسلاميّة والقيم الإنسانيّة في المدرسة المحمديّة

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
رئيس مجلس أمناء مدارس كينو
الخاصة بسلطنة عمان

تُعدّ شخصيّة المعلّم في المدرسة المحمّديّة ركناً أساسياً في العمليّة التّعليميّة، لكونه القدوة والموجّه والمربّي، فقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم المعلّم الأوّل والأعظم، وهو من أرسى قواعد التّعليم وأصول التّربية، وحدّد معالم شخصيّة المعلّم المسلم وصفاته وأخلاقيّاته.

هذا وقد وضّحت السّنة النّبويّة الصفات التي ينبغي أنْ يتحلّى بها المعلّم ليكون ناجحاً في رسالته التي حملها، ومن أهمّ هذه الصّفات علمه وإحاطته بالمادّة العلميّة، فلا يمكن أنْ يُعلّم الإنسان ما لا يعلم، فقد تحتّم عليه أنْ يتبحّر في مادّته العلميّة، ويحيط بجوانبها المختلفة، ومنها أيضاً الإخلاص في العمل والتّجرّد من الأهواء والمصالح الشّخصيّة وابتغاء وجه اللّه تعالى، فالإخلاص يجعل المعلّم حريصاً على إيصال العلم إلى طلبته بأفضل صورة، دون إهمال أو تقصير، ومن ثمّ صفة الرّحمة والشّفقة بالمتعلّمين، والحرص على مصلحتهم، فضلاً عن وجوب كونه حليماً واسع الصّدر، يصبر على المتعلّمين، ويتحمّل أخطاءهم، ويتأنّى في تقويمهم، ولن يكون هل ذلك إنْ لم يكن متواضعاً، ليّن الجانب، دون ترفّع على المتعلّمين، أو استعلاء عليهم، ممّا يجعله قدوة حسنة لهم في قوله وفعله وسلوكه، فيترجم علمه إلى واقع عمليّ، ويجسّد القيم والمبادئ في شخصيّته وتصرّفاته، إلى جانب امتلاكه مهارات تعليميّة متميّزة، تمكّنه من إيصال المعلومة بأفضل صورة، وتحقيق أهداف التعليم بأعلى كفاءة.

ولقد حرص المنهج النّبويّ على وضع قواعد أخلاقيّة للتّعليم، تحكم علاقة المعلّم بطلبته، وتضبط سلوكه معهم، ومن هذه الأخلاقيّات الصّدق والأمانة العلميّة، فلا يجوز للمعلّم أنْ يكذب أو يدلّس أو يغشّ في تعليمه، ومنها العدل والمساواة بين المتعلّمين، فلا يميّز بين طلبته مهما كان الدّافع، ومنها احترام شخصيّة المتعلّم وتقدير كرامته، وعدم الاستهزاء به أو الإساءة إليه أو التّنمّر عليه، فضلاً عن تحفيز وتشجيع المتعلّمين على التّعلّم، وإثارة دافعيّتهم نحو الاستزادة من العلم، والحكمة في التّعامل مع أخطاء المتعلّمين فلا يعنّفهم أو يحرجهم أمام زملائهم.

ولغرس هذه الأخلاقيّات لديهم فقد استخدم النّبيّ صلّى اللّٰه عليه وسلّم أساليب متنوّعة في تعامله مع المتعلّمين، بشكل يراعي الفروق الفرديّة بينهم، ويحقّق أهداف التّعليم بأعلى كفاءة، ومن أهمّ هذه الأساليب: التّعليم بالقدوة إذ يرى المتعلّم العلم متجسّداً في شخصيّة المعلّم، فيقتدي به ويتأسّى بسلوكه، والتّعليم بالحوار والمناقشة إذ يطرح الأسئلة ويستمع إلى إجاباتهم، ويناقشهم فيها، ويصحّح أخطاءهم، والتّعليم بالتّرغيب والتّرهيب، إذ يرغّبهم في العلم ببيان فضله، ويرهّبهم من الجهل ببيان ضرره، والتّعليم بضرب الأمثال وتشبيه الأمور المعنويّة بالأمور الحسّيّة، والأمور المجرّدة بالأمور المحسوسة، والتّعليم بالقصّة فيحكي لهم قصص الأنبياء والأمم السّابقة، بأسلوب يجذب انتباه المتعلّمين، ويثير اهتمامهم، ويؤثّر في وجدانهم.

وقد انتهجت المدرسة المحمّديّة أطراً حدّدت فيها مسؤوليّات المعلّم تجاه طلبته، ومنها أنْ يتحمّل المعلّم مسؤوليّة تعليم طلبته العلوم النّافعة، وتزويدهم بالمعارف الصّحيحة، وتنمية مهاراتهم العقليّة والعلميّة، وتربيتهم على القيم والأخلاق الفاضلة، وتنمية شخصيّاتهم بشكل متكامل، وإعدادهم للاندماج في المجتمع، وتنمية مهاراتهم الاجتماعيّة، وتعزيز روح التّعاون والتّكافل لديهم، وتقديم الدّعم والرّعاية النّفسيّة لهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وتنمية دافعيّتهم نحو التّعلّم، وغرس الأخلاق الفاضلة لديهم، وتنمية ضمائرهم، وتعزيز الوازع الديني في قلوبهم.

وفي مقابل هذه المسؤوليّات تجاههم، فإنّ هناك آداب وواجبات وحقوق لطّلبة العلم وعليهم، فمن آداب طلب العلم التي يجب على المتعلّم أنْ يعمل بها في مسيرته العلميّة جعل الإخلاص للّه تعالى أساس طلب العلم، والتّواضع وخفض الجناح، والصّبر والمثابرة على المشقة والتّعب، والمواظبة على الطّلب، وحسن الاستماع والإنصات الجيّد للمعلّم، والعمل بالعلم وتطبيق ما يتعلّمه في واقع حياته، ومن حقوقهم، حقّ التّعليم، وحقّ التّدرّج في التّعليم بما يراعي مستويات المتعلّمين ويناسب قدراتهم، وحقّ المعاملة الحسنة، واحترام كرامتهم، وحقّ الفهم، وحقّ التّوجيه لما هو خير، ومن واجباتهم احترام المعلّم وتوقيره، والجدّ والاجتهاد، والمحافظة على آداب المجلس، ونشر العلم وتبليغه.

كما أنّ هناك أساليب يجب على المتعلّمين اتّباعها عند التّعامل مع المعلّمين وزملائهم ومع أنفسهم، فمع المعلّمين، وجب عليهم أنْ يتأدّبوا مع المعلّم فلا يرفعون أصواتهم عنده، ولا يقاطعونه، ولا يسألونه إلا بعد استئذان، ووجب عليهم طاعة المعلّم واحترام توجيهاته، والدّعاء للمعلّم، والتّلطّف بالسّؤال، أمّا مع زملائهم فوجب عليهم أنّ يتعاونوا على البرّ والتّقوى، ويتحلّوا بالإيثار وينبذوا الأنانيّة، ويتنافسون فيما بينهم منافسة شريفة، ويصفحون ويعفون قدر استطاعتهم، ومع أنفسهم وجب عليهم إخلاص النّيّة لما لها من آثار عظيمة في طلبهم للعلم، ففيها زيادة في العلم وبركة، ونفع فيه وفتح لأبوابه، وأجر مضاعف وثواب عظيم، ونجاة من المحن والفتن وعصمة من الزّلل.

وفي خاتمة القول، يظهر أنّ شخصيّة المعلّم في المدرسة المحمديّة لها دور هامّ وحيويّ، لإعداد معلّمين متميّزين، يجمعون بين العلم والخلق، والمعرفة والقيم، والمهارة والأمانة، ويسعون لصنع جيل متكامل في جوانبه الفكريّة والمعنويّة والجسديّة والوجدانيّة، ممّا من شأنه جعل المتعلّمين أصحاب عقول وأفهام تتكامل فيها العلوم والأخلاق والقيم، وتتوازن لديها احتياجات الفكر والرّوح والسّلوك.